المـشـهـد في رواية روايتي "الجيفة والحواجز المزيفة" لعيسى شريط.

Title of the article: Scenes in the novel "The carcasses and the false barriers" by Issa shrait

الدكتور : ناصر بعداش .
أستاذ محاضر.
المركز الجامعي ميلة .
رقم الهاتف: 0551185194.
البريد الالكتروني:n.baadache@centre-univ-mila.dz

مُلخص البحث

يـــــ روائي تقنيات عديدة للتحكم في حركية السرد ، سواء بالتسريع أو الإبطاء، فإذا كان تسريع السرد هو القفز على فترات قد تكون طويلة المدة أو قصيرة، باستعمال عبارات وجيزة تختصر ما حدث في أقل وقت ممكن، فإن تعطيل السرد على العكس من ذلك تماما، ففيه يتم الوقـوف عند فتـرة زمنـية قصـيرة، والتحدث عنــها بجمل قد تـستغرق صفحات كثيرة، ولعل أهم تقنية تستعمل في مثل هذه المواقف: تقنية المشهد والوقفة الوصفية .

ومن هنا ستكون هناك أحوال أخرى يتــعطل فيها السرد بتدخل الكاتب عمدا منه، لأن الموقف يحتاج إبطاء وتيرة السرد والتوقف طويلا أمام أحد المشاهد ذات الأهمية الكبيرة، وهنا تسير الوتيرة الزمنية ببطء شديد، أو على الأقل يخفف من سيره مما يسبغ على القصة وتيرة بطــيئة تظهر لــنا بوضــوح فــي المشاهد المعروضة.

إن الروائي يعمد عادة إلى تعطيل في حركة السرد وإبطاء وتيرته، ولا يستطيع فعل ذلك إلا باستعمال تقنيات تساعد على إبطاء الحركة أو توقيفها، فتزداد مساحة النص ويتقلص زمن الحكاية، و يتم ذلك باستعمال تقنيات تتجلى في المشاهد و الوقفات، ومنه:

- ما هي التقنيات المستعملة في إبطاء حركة السرد؟
- ما دور المشاهد المنثورة في ثنايا الرواية، وهل أدت دورها على أكمل وجه؟
- هل للحوار الدائر بين الشخصيات علاقة بإبطاء حركة السرد؟

الكلمات المفتاح : سرد، مشهد، رواية، حركة، نص.

Summary:

The novelist adopts many techniques to control the narrative kinetics, either by accelerating or slowing down. Standing at a short period of time, and talk about them sentences may take many pages, and perhaps the most important technique used in such situations: scene technique and descriptive pause. Hence there will be other situations in which the narrative is interrupted by the deliberate intervention of the writer, because the situation needs to slow down the narrative and stop long in front of one of the scenes of great importance, and here the tempo is going too slowly, or at least eases its progress, giving the story a slow pace that appears to us Clearly in the scenes shown.

The novelist usually disrupts the narrative movement and slows down its pace, and can only do so by using techniques that help slow or stop the movement, increasing the text area and shrinking the time of the story, and this is done using techniques reflected in scenes and pauses, including:

- What techniques are used to slow the narrative?
- What is the role of scenes scattered in the folds of the novel, and did it play its role to the fullest?
- Is the ongoing dialogue between the characters to slow down the narrative movement?

Keywords: narration, scene, novel, movement, text.

مقدمة:

لقد كان التعامل مع الزمن في الرواية الكلاسيكية يتم بطريقة واحدة، وهي عرضه بصورة خطية، أما في الرواية الحديثة، فقد أصبح يتشكل في أنواع عديدة، فكثيرا ما نجد الروائي يلعب على محور الزمن، مستخدما في ذلك تقنيات حديثة شاعت استعمالاتها عند كبار المنشغلين بالفن القصصي عموما.

ومن هنا أصبح الزمن الروائي يشكل عالما في حد ذاته يجب رصده، وذلك بإخضاعه للدراسة، وبهذا تغيرت النظرة إلى الزمن وطريقة التعامل معه، إذ أنه اكتسب مكانة حساسة أهلته أن يقف بثقة واعتداد لا يقلان درجة عن باقي مكونات المبنى الحكائي، بل لقد أصبح العصب الحساس الذي يحرك الأحداث داخل النص السردي ويتحكم فيها، الشيء الذي جعله منه قضية نقدية معقدة، فبعد أن كان رواد القص الكلاسيكي لا يجدون صعوبة في نسج الزمن، أصبح القاص الحديث يجهد نفسه في سبيل تعريف الزمن وإعادة فلسفته لغايات عديدة، لعل أهمها إحداث أثر جمالي لدى المتلقي، أو تخييب توقعاته حين يضعونه وجها لوجه أمام عمل يخالف أفق انتظاره.

1- تعريف المشهد:

تعتمد الرواية الحديثة على تقنيات عديدة تعمل على التلاعب بحركية السرد، ذلك لأن الروائي مجبر في بعض الأحيان على التحكم في عنصر الزمن سواء بتسريع وتيرته أو إبطائها، ولقد شاع استعمال تقنيات للتخفيف من سرعة السرد والوقوف فترات عديدة، ومن بين هذه التقنيات نجد المشهد والوقفة الوصفية، ولقد كان موضوع اهتمامنا في هذه الورقة البحثية تقنية المشهد، فالمشهد إذن هو الحوار الذي يدور مع وحول الشخصيات، فتتعطل بذلك حركة الزمن في السرد و يفسح المجال لها للتحدث عن الحياة الاجتماعية أو غيرها، وهو عند النقاد والدارسين: "تقنية زمنية تعمل على إبطاء وتيرة السرد، وذلك بتكسير رتابة الحكي بضمير الغائب الذي ظل يهيمن ولا يزال على أساليب الكتابة الروائية"[1].

لقد ظل الحكي بضمير الغائب مهيمنا على الكتابة الروائية منذ ظهور هذا الفن، مما خلق نوعا من الرتابة ما جعل الروائيين الجدد يُغَيِّرُون طريقة الحكي بضمير الغائب إلى أساليب تسمح بإضفاء نوع من الواقعية على النصوص، فتصبح الأحداث وكأنها تجري في الحاضر أمام القارئ ، فعمدوا إلى استعمال المشاهد القائمة على الحوار ليصبح الزمن في النص بطيئا يفسح فيه المجال للشخصيات بالتحدث عن أنفسها، يرى محمد الشوابكة أن المشهد "هو الخطاب الذي يـتساوى فيه – نسبيا –حجم النص مع زمـن المتن أو الحكاية، ويأتي على شكل سرد تتوالى فيه الأفعال بحيث يشـــعر القارئ بتـطور الحدث و تناميه، ويشعر أن النص غطى مدة زمنية مناسبة، وقد يأخذ المشهد شكل الحوار وهذا الشكل هو الغالب على المشاهد حيث تتساوى أحيانا مساحة النص مع زمن الحكاية"[2]، وبالتالي يعمل المشهد على التقليل من السير السريع للسرد حتى يتساوى بذلك حجم المتن الحكائي مع المبنى المجسد في النص، وهو بذلك تعبير للشخصيات على الآراء عن طريق الحوار القائم بين اثنين أو أكثر، ومنه يصبح القارئ مشاركا في العملية السردية لأنه يشعر بتطور الأحداث، بهذا يتقلص حجم النص مقارنة مع حجم الحدث الذي يكون أصغر، فيتعطل بذلك السير الطبيعي للسرد .

ويقوم " المشهد أساسا على الحوار المعبر عنه لغويا، والموزع إلى ردود متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية"[3]، يجري هذا الحوار بين شخصيتين أو شخصيات للتعـبير عن الآراء المختلفة وكشف ردود الأفعال المتباينة لكـل طرف من الأطـراف، ويكون باستعمال اللغة التي تتم بها عملية التواصل، ومنه يؤدي المشهد وظيفة بنائية مهمة داخـل الـرواية ذلك لأن الشخصيات عديدة ، تختلف آراؤهـا وتوجـهـاتها، وبالتالي نستطيع من خلال الحوار كشف الطبائع النفسية لكل واحدة منها، وذلك من خلال توقيف الراوي لمجرى السرد حتى يفسح المجال أمامها للتعبير عن توجهاتها وطبائعها النفسية والاجتماعية، يقول بحراوي: " تكون وظيفة المشهد القيام بدور حاسم في تطور الأحداث والكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية للشخصيات"[4]، وبهذا أصبح المشهد تقنية لا يستطيع أحد إنكار دورها، فالروايات الحديثة والمعاصرة تحفل به وتعول عليه كثيرا،يقول روحي الفيصل: المشهد " تحفل به الروايات وتعول عليه كثيرا لإعطاء السرد حركية تؤدي إلى تقوية أثر الواقع في القصة، لأن وظيفة المشهد هي تسليط الضوء على حوادث رئيسة مؤثِّرة في سياق

الرواية"[5]، ومن ثم كان التركيز عليه لإعطاء السرد حركية تقوي أثر الواقع داخل النص، وذلك لكثرة المقاطع التخيلية التي يعمل المشهد على إعطائها صفة الواقعية لأنه يقوم بتسليط الضوء على الحوادث الرئيسية المؤثرة في السياق الرواية، ويرى عمرو عيلان: أن المشهد "يشكل الوسيلة التقنية الأساسية لعرض واقع الحياة الاجتماعية و تفاعلاتها، وتناقض القيم السائدة فيها"[6]، ان الحياة الاجتماعية سواء في الواقع أو العالم الافتراضي متشعبة الجوانب، ولعرض الواقع وتناقض القيم التي تسودها كان لا بد من أن تكون المشاهد حاضرة في النص الروائي.

2- الحوار في الرواية:

لعل من بين الوسائل التي تعين على بسط نفوذ المشاهد داخل النص الروائي؛ وإعطاء فرصة لتعطيل حركة السرد وإبطاء وتيرته نجد الحوار، ويرى عز الدين بوبيش أنه يكون المشهد " حين يكون الحوار بين الشخصيات، فيصبح زمن القص يساوي زمن الوقائع "[7]، وبالتالي فالمشهد حوار يعمل على إحداث تساوي بين زمن القصة وزمن الحكاية التي تروي الوقائع، ومنه لما كان زمن القص يختلف عن زمن الوقائع، فإن المشاهد تتساوى فيها حركة الزمن وتسير جنبا إلى جنب، وبذلك تكون وظيفته "في العمل الأدبي بعث روح الحيوية في الشخصية"[8]، أي أن الشخصيات عندما تعبر عن نفسها تصبح وأنها واقعية تتحرك بحيوية داخل النص الروائي .

إن الحوار يشكل في جملته لحمة للسرد، وهو مكون أساسي لأجزائه، يقول سلمان حسين: "من المعروف أن الحوار في الرواية سواء منها التقليدية وغير التقليدية يُعَدّ تقنية مساعدة، وجزءاً مكونا من أجزاء السرد، وأهميته كبيرة في انبناء النص وقدرته الدلالية"[9]، ومن هنا نجد أن عيسى شريط لم يخرج عن هذه القاعدة التي تبناها الروائيون منذ زمن، فمن خلال الاطلاع على أعماله نلاحظ أنه أولاها أهمية بالغة حيث كان للمشهد النصيب الكافي في روايتي الجيفة، والحواجز المزيفة مجسدا في الحوار القائم بين مختلف الشخصيات .

إنه من بين الوظائف الأساسية التي يؤديها المشهد في الروايتين قيد الدراسة أن يكون بمثابة افتتاح أو اختتام للسرد " وتكون مهمته هي إحداث الأثر الدرامي الذي يسهل علينا فهم التطورات الحاصلة في الأحداث وفي

مصائر الشخصيات"[10]، ولحدوث هذا الأثر كان لابد من استعمال الحوار القائم بين شخصيتين ليسهل علينا فهم الطبائع النفسية لكل منهما، وبالتالي نستطيع تحديد المصائر التي ستؤول لها .

يوجد مثال في رواية الجيفة تتجسد من خلاله القيمة الافتتاحية للمشهد، ومنه نستطيع التعرف على شخصيات جديدة مثل شخصية البطلة عفاف الفتاة العاصمية، وكذا شخصية المقاول، مما يتيح فرصة إبطاء السرد عن طريق الحوار الآتي:

- << أهلا .. ماذا تريد يا أخي ؟

- اصعدي إلى السيارة و ستعرفين ..
- كلمني الآن وقد نتفق ..
- قلت لك اصعدي ولا تحاولي معي ، أنا لا أثق أبدا في " زريعة حواء" .
- لم لا تسبقني إلى مكان تحدده الآن ، و سألحقك ..
- لا تحاولي، أنا لست غبيا مثلما تتصورين"[11].

يقدم الروائي في هذا المشهد الذي كان في البدايات الأولى للرواية شخصية عفاف التي تبدو هادئة مطمئنة، تتكلم براحة وبمعنويات مرتفعة، وهي لا تخشى من هذا الشخص الغريب لأنها تعلم جيدا طريقة التعامل الحضارية ، على عكس شخصية المقاول الذي طبعت نفسيته بطابع الاضطراب والخوف، لأنه يعلم أنه مخادع يعيش حياة المكر والخداع، وذلك لانغماسه الدائم في عالم الملذات والشهوات، مما أهله أن يكون صاحب شر يبث سمومه في عالم البشر، وينتقم من الناس بالطريقة التي يريد حتى ولو كانت من الممنوعات، فلا تهمه المبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقية.

وفي المقابل تدافع عفاف عن موقفها الضعيف بأسلوب هادئ ورزانة تامة، فهي تحاول الانسحاب من هذا المشهد بأسرع طريقة ودون إثارة البلبلة وتجمع الناس، بينما هو مضطرب يحاول استعمال القوة للدفع بعفاف إلى الصعود، ومن ثم يحاول إنهاء المشهد في أسرع وقت ممكن، ولقد أثار هذا المشهد الاهتمام بكلا الشخصيتين، وهذا ما يدفع القارئ إلى التساؤل لمعرفة الكثير عنـهما، وهذا ما يضفي نوعا من التشويق للتفكير في مصائر عفاف والمقاول،

وبالتالي يتحتم على القارئ إكمال القصة لمعرفة النتائج التي ستؤول إليها نهاية القصة .

وفي مشهد آخر؛ نجد الحوار يدور في رواية الحواجز المزيفة بين الصديقين عياش الهلالي ورفيقه العمري حول كل المستجدات التي لحقا إليها، ولما كانت الحياة التي تعرف حركات غير عادية فإنها لا تبشر بخير، وذلك بعد سلسلة المسيرات المروجة للهلاك، هنا يكون المشهد الافتتاحي عبارة على حوار مطول عن الأحداث المتسارعة في البلاد، ومنها الحشود البشرية التي تروج للغط السياسي الذي ستكون له عواقب وخيمة في المستقبل.

"- يا لسخرية القدر - الغاية تبرر الوسيلة ، هذا المذهب الميكيافلي كان يندرج ضمن الممنوعات يصبح اليوم من المسلمات ؟...

- أين المشكلة ؟..ما دامت وسيلة الصخب ناجعة تحقق الغرض، فلماذا لا تستغل ؟
- لكنها وسيلة خبيثة تدغدغ العواطف فقط .
- المواطن يحب من يدغدغه . لا يبخل بعد ذلك بصوته أبدا"[12].

يَطَّلِعُ القارئ عن طريق هذا المشهد على شخصيتي العمري وعياش الهلالي، ومن خلاله يفهم أن شخصية عياش أكثر انفعالية من العمري، فهو يحلل المواقف بأفكار نيرة وعقل راجح، وينظر إلى المواقف بتأمل كبير، بينما العمري يبدو أكثر هدوءا لا تهمه كل المواقف التي تمر وتمر بها البلاد، حيث يطلعنا المشهد كذلك عن كل الأوضاع التي تشهدها الجزائر سياسيا؛ أين أصبحت عرضة لمختلف المسيرات السياسية الحاشدة التي لا تنبأ بخير، وكذا يطلعنا على جملة القضايا الأساسية التي تضفي تشويقا يشجع القارئ على تتبع القصة، " والاطلاع بصورة مباشرة على الشخصيات وأفكارها وقناعاتها وحياتها اليومية"[13].

لقد سئم عياش والعمري من الحياة اليومية المليئة بالتجمعات التي لا طائل منها، وهاهما يشَرَعان في تَحليل الوقائع كل بحسب تفكيره ورأيه، حيث "وفر لنا هذا المشهد إمكانية تحديد جملة من العناصر المتصلة بالواقع اليومي"[14] الذي يعيشه كل من عياش والعمري .

و من جهة أخرى كان المشهد بمثابة التمهيد لأحداث خطيرة ستشهدها القصة من دون إعطاء تفاصيل، " وبالتالي يسعى المشهد إلى التركيز الدرامي ، ويترك للسرد بعد ذلك مهمة إعطاء التفاصيل والوقوف على الجزئيات"[15]، وما على القارئ إلا تتبع الأحداث الروائية بشغف، ومنه فإن " الإبطاء المفرط الذي يقوم به المشـهد على حساب حركة السرد الروائي لا يأتي عبثا أو بهدف إيقاف نمو حركة السرد ، بل هو إبطاء فني مـن شأنه أن يسهم في الكـشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات الروائية"[16]، على غرار ما عرفناه عن شخصية عياش التي عانت وتعاني ويلات التهميش والحرمان، إضافة إلى العزوبية التي تنخر جسده يوما بعد يوم، حتى طبعه القلق والاضطراب في حياته المتقلبة، وأصبح ينظر إلى الأحداث من زاوية ضيقة ويتسرع في إعطاء الأحكام، فأصبحت تراوده الشكوك والظنون التي أودت به إلى مرض الشك وعدم الثقة في أحد ولو كان قريبا.

يُطلِعُ المشهد حين يأتي في بداية الرواية بصفة افتتاحية على شخصيات ستسهم في تطور الأحداث في الرواية، وبالتالي يعرفنا على طبائعها ومصائرها عن طريق الحوار الذي يجري بين طرفين، وقد يكون" المشهد في نهاية الرواية فنكون إزاء قيمة اختتامية، وبالتالي تكون الغاية منها تسجيل المواقف النهائية للشخصيات، أو إعلان عن حصول اتفاق أو افتراق ما بين أطراف القصة"[17]، فيأتي هذا النوع من المشاهد كخاتمة لما توصلت إليه الأحداث بعد التطور والتنامي، فيحصل في الأخير اجتماع الشمل بين المتحاورين، أو قد يكون على العكس من ذلك تماما فيحصل الافتراق.

سُجِلَ في رواية الجيفة مشهدا كان ذا طبيعة اختتامية لقصة حب دارت أحداثها بين البطل سمير و عفاف اللذان التقيا بالعاصمة بعد سفر سمير إليها، ليدور بينهما حوار يكون في شكل مشهد اختتامي لهذه العلاقة التي ستنتهي بالرباط المقدس و هو الزواج :

- " تعال سمير قبل أن نذهب إلى البيت و أعرفك على أسرتي، أريد أن أنفرد بك بمكان خاص لتقص علي كل شيء يخصك.
- عفاف قبل أن أقص عليك كل شيء، أريد مصارحتك بأمر مصيري بالنسبة إلي، على ضوء ردة فعلك ستتحدد معالم علاقتنا.
- لا تقل شيئا وتعال ننزوي بقاعة الشاي هذه !..

- قد لا تصدقين إن قلت لك بأنني أسعد مخلوق على الأرض .
- أحب هذيانك .. أحب كلامك .. أحب شكلك .. قل ما بدا لك
- و أحلم .."[18].

قدم لنا المشهد في هذا الحوار حصيلة و جهة نظر كلا الطرفين من الآخر، " دون حاجة إلى وسيط سردي أو سواه"[19]، وكان بمثابة اختتام لعلاقة طالت مدتها بين العاشقين لتنتهي في الأخير برابط الزواج، وهنا نكون إزاء موقف مباشر اتخذه سمير من عفاف بشأن الحياة المستقبلية رغم الظروف غير المتكافئة.

يستعمل الحوار لترهين الأحداث وجعلها حاضرة أمام القارئ؛ ومنه فإن "الإكثار من استعمال الحوار من العناصر المهمة في الطريقة الدرامية، وربما كان من أوضح الوسائل لإحداث وهم الفورية والحضور لدى القارئ"[20].

يأتي المشهد الختامي في رواية الحواجز المزيفة ليسجل لنا الحالة التي وصل إليها عياش الهلالي، والتي كان يخشى أن يقع له مكروه يؤدي به إلى الهلاك في نهاية المطاف، وبالتالي كان متخوفا من كثرة اللغط والهرج الذي يحدث مرارا و تكرارا، وكان يصطدم به في مسيرة حياته اليومية، ليحدث الأسوأ وما كان يتوقع وحلت به الفاجعة، ويختم حياته صريع الحب الذي ألزمه الفراش وكلفه المرض المزمن الذي استعصى على الأطباء شفاؤه، فيدور حوار بينه وبين الشاعر الذي قال :

- " لا تتكلم ...عرفت كل شيء من " العمري " أعرف أن هيامك عشقا بها شغلك عن الدنيا بأسرها !.. لا تجهد نفسك عياش أنت مريض ..

- مريض ؟ ! قل ميت ؟!.

- ألم تؤكد لي دوما بأن ما يحدث مجرد ظاهرة اجتماعية ؟! .. فلماذا إذن كل هذه المآسي ؟!

- لا تجهد نفسك ..إنها تعليمات الطبيب !.."[21].

يقدم هذا المشهد الختامي حصيلة ما وصلت إليه الأحداث بعد انفلاتها، فقد انزلقت الأمور نحو الأسوأ، وأصبح القتل والاختطاف من الظواهر العادية جدا

في البلاد، وبعدها تختطف ريم التي علق عليها آمالا كبيرة وبنا على إسمها مملكة تريحه عناء التعب الذي لحقه خلال أربعين سنة من الضياع، ولكن الأحداث المتلاحقة أبت إلا أن تتركه صريع الهواجس والأمراض، وهو ما كان يتوقعه ويخشاه في غفلة أصابت الجميع، وبعدها حلت الكارثة؛ لتنهال الهموم على رأس عياش الهلالي الذي كان وحده يذكر ويحذر من خطورة الوضع ولكن بعد فوات الأوان، فخبر اختطاف ريم كان شديد الوقع عليه، بل وضمه إلى فئة المرضى المصابين بداء السكري بعد معاناة دامت أربعين سنة سعى من خلالها إلى إضافة الجديد إلى نفسه ومجتمعه ووطنه ، ولكن كانت النهاية المأساوية في مشهد حزين .

و في هذه الحالة يكون المشهد بصنفيه الافتتاحي والاختتامي تقنية تعمل على حساب تعطيل الوتيرة الزمنية للسرد.

يجري الحوار بين الشخصيات لأجل التوصل إلى هدف معين، أو الاستفسار عن أمور غامضة، أو إبراز رأي في شأن مسألة من المسائل التي تهم الأفراد ، وقد "تكون تقنية الاستنطاق تمثيلا للمشاهد، حيث تختفي فيه الأحداث و يفسح المجال لتحديد الطبائع النفسية والاجتماعية للشخصيات"[22]، والاستنطاق هو مجموع الأسئلة الموجهة من شخص له سلطة على من دونه، كالقاضي على الرعية، أو المسؤول على العمال، ويكون "المشهد خلال ذلك هو الوسيلة المناسبة لتقديم وجهة نظر الطرفين المتحاورين وإعلان كل منهما لمواقفه"[23]، من ثم تكون الشخصية مستعدة للتصدي لجميع الأسئلة ومحاولة الإجابة عنها، وإعطاء الموقف الشخصي الصائب.

من أمثلة هذه المشاهد ما قام به ضابط الشرطة من استنطاق للبطل سمير والشاب الإفريقي

بعد الشجار الذي دار بينهما لأجل المكان، وقد دام هذا الاستنطاق صفحات كثيرة، عمل على تعطيل الحركة السردية بشكل كبير :

- "لم أنت خائف بهذا الشكل ؟..
- أ أ أ ...
- أحك أنت لما تشاجرتما .

- لا تقل بأنك خائف أيضا ؟ .."[24].

ويستمر هذا الاستنطاق على طول الصفحات، ويكون التحقيق طويلا مع الشاب الإفريقي الذي كان يحاول الانسحاب في كل مرة، ليأتي دور سمير الذي كان مستهدفا من طرف الشرطة؛ وقد كان يدرك ذلك ، وهنا تحددت الطبائع النفسية والاجتماعية لكلا الطرفين ، فالشاب الإفريقي غريب الأرض والوطن يخشى أن يُسأل عن وضعيته غير الشرعية في الجزائر، وسمير محبط يعاني التهميش في وطنه .

ويحاول الضابط تشديد اللهجة الخطابية على الطرفين ليستبين الصادق من الكاذب، "وقد نجم عن هذا الاستنطاق التشديد على الحوار كوسيلة خطابية أساسية، ما استدعى خلق مشهد مباشر تتوارد فيه أقوال الشخصيات و هي تجيب على الأسئلة"[25]، هذا التشديد جعل الشاب الإفريقي في توتر وحيرة كبيرين، وأصبح يجيب على الأسئلة بسرعة فائقة ليتسنى له الخروج من هذا المأزق الذي إن طال سيورطه في مأزق لا يحمد عقباه، ويسأل على إقامته غير الشرعية، وبعدها سيكون مطرودا لا محالة، لذلك نجده دائما يسرع في طلب العفو جاعلا من نفسه ظالما، وأن سمير هو المظلوم، هذا ما استدعى منه القيام باعتذارات متكررة :

- " بدون أن يعتذر أنا أسامحه .. هو فعلا مكانه، قد لاحظت جلوسه المستمر منذ أيام، كان علي احترامه ووضع سلعتي بمكان آخر.."[26].

أما سمير فقد تعرض لاستفزازات كثيرة من طرف الضابط جعلت منه شخصا يشك في كل شيء:

- " لا تقل بأنك خائف أيضا ؟ ..
- لا .. أنا لست خائفا ! ..
- ما سبب عبوسك إذن ؟
- مما يحدث .. أشعر و كأنك تستهدف الإساءة إلي .."[27].

يقوم البطل سمير في هذا المقطع بالرد على جميع الأسئلة التي تصدر من قبل الضابط، وذلك لمحاولة الوصول إلى السبب المقنع الذي دفع بالشرطة إلى توقيفه ومن ثم استنطاقه .

ويستمر الحوار في النص على طول الصفحات بين البطل والضابط، وتتطور الأمور حتى يتم التوصل إلى اكتشاف أمر السجل الأحمر الذي قادت معلوماته المدونة بداخله إلى التوصل في النهاية إلى اكتشاف صاحب السيارة الذي اختطف عفاف، والوصول إلى ملف الصفقات المشبوهة .

نستطيع التعرف على هوية الشخصيات التي يقوم الروائي بإدخالها عالم الرواية من خلال الحوار الذي يجري بينها، و بالتالي نتمكن من تحديدها ومعرفة الأشياء التي تفكر بها، "فالتوافق بين الحوار المباشر والحكي يساعد على تحديد هوية الأشخاص"[28].

و بهذا كانت المشاهد على طول الروايتين على اختلاف أنواعها وأحجامها، " نافذة يطـل منـها القارئ على أفكار الشخـصيات، وتطلعـاتها ، وحياتها اليـومية ، وبالتالي التفاعل مع صورها المعروضة في ثنايا التقديم المشهدي"[29]، وهناك مشاهد كثيرة تخللت الرواية كان الهدف منها عرض مظاهر الحياة الاجتماعية لكل شخصية من الشخصيات، سمير، عفاف، مدير الوكالة ، الشاب الذي جَنَنَتهُ البحيرة، الضابط، المفتشة، أبو عفاف، مقاول باب الزوار ...، ونجد في رواية الحواجز المزيفة المشاهد الكثيرة التي كانت بمثابة النافذة التي نطل منها على الحياة اليومية لكثير من الشخصيات في المدينة .

يثير مشهد ظاهرة رمي القاذورات أمام البيوت اهتمام الصديقين عياش والشاعر، ليقوم هذا الأخير بإعطائها تفسيرات اجتماعية :

- " طيب !.. ما علاقة هذا واللامبالاة بالقاذورات ؟.
- كثرت تساؤلاتك و أخشى التيه عن لب الموضوع لأقول في النهاية هو هراء !..."[30].

وكذا ظاهرة الطلاق الذي تفشى في البلدة في الآونة الأخيرة، وأصبح ظاهرة تحدث لأتفه الأسباب، ففي مشهد يصور فيه الروائي حادثة تطليق أحمد العامري لزوجته بسبب صورة أبيه التي كانت معلقة على الجدار، يستفسر :

- " أين الصورة ؟
- أكد لي زوج أختي
- ...

- أنت طالق"[31].

وكذا الحياة اليومية التي عاشها عمر القبائلي في فرنسا، وكان قد ظهر عنده نوع من العداء للفرنسيين، فأصبح لا يطيق أحدا منهم، وفي مشهد من المشاهد يطلعنا الروائي على تواصل عمر مع الرجل الفرنسي في الملهى الليلي، وكان ذلك على شكل حوار دار بينهما، وهو ما دفع بعمر إلى التفكير في قتله لولا وجود عوائق حالت دون ذلك.

نجد المشهد من جهة أخرى يصف العادات الأساسية المتصلة بالعلاقات الإنسانية كالزواج مثلا، وهو ما نستشفه من المشهد الذي دار بين العمري والفتاة العاصمية " جازية "، وبين عياش وريم التي تنتهي باختطافها و مرض عياش.

ومشهد الحي الذي أصبحت أوضاعه مزرية للغاية، وهذا ما استوجب على عياش الهلالي وصديقاه رابح وسليمان القيام بمحاولة لتأسيس جمعية لأجل تحسين الأوضاع، والتشاور عن موعد اللقاء الحاسم لإتمام القضايا العالقة[32].

ومشهد الحياة اليومية التي يعيشها لعور وقدور السمينة، وما تعانيه من ثراء فاحش، يدفع بعياش وصديقه الشاعر إلى تحليل القضية وإعطائها أبعادا أخرى، حيث تثير هذه الظاهر اهتمامهما البالغ، فيَسأل عياش كيف يعقل أن تتنعم هذه الطبقة الجاهلة بالغنى والرفاهية؟، وتسند لها كل الأمور وجميع المهام حتى التحكم في الطبقة المثقفة التي تعاني التهميش والفقر والفشل الذريع في كل المجالات، وسط هيمنة كلية للأثرياء، ومنه "فهذه التنويعات في السياقات المشهدية تؤدي إلى خلق تنويعات سردية داخل القصة الأساسية، فيتوسع السرد ليشمل نقل أحداث جزئية تضاف إلى سياق القصة العام، وتندمج به لتصبح مكوناً دالا على صورة أو فكرة أو قيمة اجتماعية" [33]، فتصبح الأحداث العرضية ذات قيمة أساسية، وتدمج في سياق القصة الرئيسية، وتصبح لها دلالة تضاف إلى المعنى العام .

ينقلنا الراوي في مشهد من رواية الحواجز المزيفة إلى بعض الأحداث التي تنحرف عن مسار القصة الأصلية، التي يتقاسم أدوارها كل من عياش الهلالي وصديقه لخضر حين ذهابه إلى العاصمة، ليأتي بأخبار الشابة السمراء، فيسأل لخضر صديقه :

- " أين قضيت يومك!..

- آه ، لو تعرف ! .. رب صدفة !..

- ما الذي حدث ؟ ! و بمن جمعتك الصدفة يا ترى ؟!"[34].

يستمر الحوار بينهما بشأن هذه الشخصية الجديدة لتدرج ضمن القصة المركزية، ليلتقي بها لخضر ويعرض عليها الزواج، ويتم التوصل إلى حل يمكنها من الارتباط رغم المعارضة الشديدة من قبل عائلة لخضر، ولكنه تمرد وجمعهما اللقاء الذي لم يدم طويلا لينتهي بمصرع الفتاة بتسميمها .

نسجل للمشهد من خلال هذا "حركته في فتح أفق النص على التنوع و التوسع والرؤية الشمولية للواقع"[35]، وبالتالي ينفتح النص على آفاق جديدة تتميز بالتنوع و التوسع الذي يساعد على إقامة رؤية شاملة للواقع، ونجد في رواية الجيفة مشاهد كثيرة تعالج مختلف القضايا العالقة بالحياة الاجتماعية من حب وكره وقلق وهم، وانبساط وسرور، فعفاف مثلا الفتاة العاصمية الأنيقة تتعرض إلى عملية اختطاف تكدر صفوها مما يحتم على مدير الوكالة استضافتها إلى فندق فخم، واستدراجها في الحديث علهَا تبوح بما تعانيه فيدور الحوار بينهما ويستمر لصفحات كثيرة إلى أن تبوح البطلة بكل شيء.

- اعذرني عن شرودي.. لست أدري ما الذي أصابني ..كنت أتصرف بلا وعي !

- تصرفك عاد ، لا يعيبه شيء يتطلب اعتذارك ..

- لكني تصرفت كالبلهاء ، أحرجت الناس بفضولي الوقح..

- فعلت ذلك عن حسن نية .. [36]، ففي هذا يحاول مدير الوكالة الوصول إلى الأسباب التي جعلت عفاف شاردة في عملها، وتحرير ما يجثم على صدرها لتنبعث من جديد، و من ثم كان للحوار دوره إذ تمكن من استنطقاها حتى اعترفت بالحادثة وحررت كل المكبوتات التي كانت تجول بخاطرها.

وقد يأتي المشهد عبارة عن مناجاة وحوارات باطنية، فيكون على شكل حديث إلى النفس " .. فيصور بعض الحوارات الداخلية للصراع والألم اللذان يختلجان في نفس الشخصية "[37].

في مقطع من رواية الحواجز تظهر فريدة من بعيد تحمل هموم الدنيا التي حجبت عليها الرؤية، وبينما هي في سيرها قاطعة الشارع للوصول إلى مكان العمل، كانت تتمتم بكلام غير مفهوم تحدث نفسها، و كانت ملامح التوتر بادية على محياها، وهذا ما يدل على أنها تعيش صراعا وألما يخربان كيانها، حتى أصبحت كائنا بلا روح لا تعرف أي السبل تؤدي إلى خلاصها:

" لا أستطيع تحمل أكثر مما تحملت ! .. كثرت مواعيده و أكاذيبه ! أنتظر صابرة منذ عامين دون جدوى ! إنه يخدعني فقط بعدما أخذ كل شيء !.. ماذا أفعل يا إلهي إذا تقدم أحد يخطبني ؟! لا سبيل أمامي سوى الانتحار ! نعم أنتحر و أدفن عارية و هو الحل الوحيد الذي فيه خلاصي .. لِمَ لا أفعلها الآن ! .. سيارة خلفي تقترب أرتمي أمامها وأرتاح ! .. نعم أرتمي ! .. إنها تقترب ... "[38].

إن المتأمل في هذا المقطع يرى الحديث الداخلي الذي تعيشه فريدة بعدما خسرت كل شيء، وأصبحت تعيش صراعا داخليا بينها وبين نفسها، وهي الآن تحاول الخروج بحل يُسَلِيها عن المعاناة التي تعانيها، فلم تجد من حل سوى الخلاص من هذه النفس الخبيثة التي أوصلتها إلى المهاوي، وذلك بعد الاستسلام القاتل للحبيب المخادع، فلقد ظل يراوغها بعدما فعل فعلته، وأصبح يختلق حججا واهية في سبيل الهروب منها، غير أن الألم والصراع الداخلي لفريدة لم يتركاها تحيا بسلام وقادها نفاذ صبرها إلى التفكير في الانتحار والاستراحة من المعاناة، لينتهي بها المطاف أخيرا إلى اتخاذ القرار بعدما تشاورت مع نفسها لترتمي أمام سيارة لتضع حدا لحياة مريرة .

وأخيرا فالمشهد " يلعب دورا هاما على الوتيرة الزمنية ، حيث يتباطأ السرد حتى يحدث هناك نوع من التوازي بين زمن القصة و زمن الخطاب ، و يتساوى المقطع التخيلي مع المقطع السردي في عين القارئ"[39] ، فعمل المشاهد اللعب على الوتيرة الزمنية للسرد، ومحاولة الإبطاء فيه ليتساوى بذلك زمن القصة كأحداث وقعت مع زمن الحكاية التي هي الخطاب، ومن ثم " فإن

الإبطاء المفرط الذي يقوم به المشهد على حساب حركة السرد الروائي لا يأتي عبثا أو بهدف إيقاف نمو حركة السرد، بل هو إبطاء فني" [40]، حيث يستعمله الروائي لغايات عديدة تخدم النص الروائي كالتخفيف من الوتيرة السريعة للسرد، والتعرف على هوية الشخصيات التي يقوم الروائي بإدخالها عالم الرواية من خلال الحوار، وترهين الأحداث وجعلها حاضرة أمام القارئ، ومنه يُعَدُ استعمال الحوار من العناصر المهمة في الطريقة الدرامية ليكون أوضح الوسائل لإحداث وهم الفورية والحضور لدى القارئ، وفي الأخير تصبح المشاهد الكثيرة بمثابة النافذة التي نطل منها على الحياة اليومية لكثير من الشخصيات.

و أخيرا يمكن القول إن تقنية المشهد تشتغل على حساب زمن القصة كما الوقفة، لكن باختلاف الفوارق البنيوية بينهما، فتعملان على إبطاء حركة السرد أو تقليصها إلى الحد الأدنى "فإذا كان الوصف يوقف سير الأحداث المتنامية لتصوير شخص أو مكان .. فالمشهد يعطل سرعة السرد و يجعل الأحداث تتوالى بكل تفاصيلها وجزئياتها من خلال حوار الشخصيات فيما بينها"[41]، لذلك يحتاج الروائي إلى تقنيات يتمكن من خلالها الحد من سرعة السرد وإبطاء وتيرته السريعة، وتتمثل في تقنيتي المشهد والوقفة الوصفية، فتتوالى الأحداث بكل تفاصيلها على شكل حوار.

خاتمة:

وصفوة القول فإن روايات الروائي الجزائري "عيسى شريط " تمثل أنموذجا خاصا يحمل في ثناياه عمقا يعبر عن المراحل المتقلبة التي مَرَ ويمُرُ بها المجتمع الجزائري المعاصر، وتحولاته المستمرة بسبب الانفجاريات السياسية التي شهدتها البلاد في تسعينيات هذا القرن، وقد أوصلتنا هذه الدراسة للمشهد في أعمال عيسى شريط إلى مجموعة من النتائج اعتبرناها خلاصة لهذا البحث أهمها :

- إن عيسى شريط يُشَرِحُ المجتمع الجزائري بمختلف طبقاته تشريحا دقيقا ، ومن ثمة يقف عند كل شخصية محللا إياها من الجانب النفسي، مبرزا ما تعانيه من هموم ، فنجده وقف عند بعض الشخصيات الطاعنة في السن مصورا تفكيرها و نهجها في الحياة ، والميل إلى حياة بعض الشباب كاشفا تطلعاتهم ورغباتهم، كما نجده في طرحه لم ينس المجانين فكانت الرواية مجالا يتسع لهم.

- إن العالم الروائي الذي جسده عيسى شريط في رواياته عالم خصب استطاع من خلاله توظيف التقنيات والوسائل الحديثة التي تعتمدها الرواية المعاصرة،كالمشهد مثلا.

- ومن جهة أخرى شهد السرد تثاقلا وتباطئا في الوتيرة الزمنية، فقد عمد الروائي إلى إبطاء الحركة في بعض الأحيان باستعمال تقنية المشهد الذي عطل حركة السرد أو وقفها في بعض الأحيان .

- لقد لعب الحوار دورا كبيرا في عملية إبطاء الوتيرة السريعة التي عرفها السرد في بعض الأحيان

قائمة المصادر والمراجع:

[1] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1،1990، ص 166 .

[2] - محمد علي الشوابكة، السرد المؤطر في رواية النهايات لعبد الرحمن منيف ، دائرة المطبوعات والنشر، عمان ،(د ط). 2006، ص 92.

[3] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي ، بيروت،ط1،1990 ، ص 166 .

[4] - المرجع نفسه ، ص 166 .

[5] - سمر روحي الفيصل، بناء الرواية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1995 ،ص 133 .

[6] - عمرو عيلان، الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، (د ط)،2001 ، ص 305 .

[7] - "مجلة السرديات"، دار الهدى، مخبر السرد العربي ، قسنطينة ، الجزائر ، العدد 01، جانفي 2004 ،ص64.

[8] - شريبط أحمد شريبط، تطوّر البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(د ط)، 1998، ص 29.

[9] - سلمان حسين ، مضمرات النص والخطاب، اتحاد الكتاب العرب دمشق،**(د ط)**، 1999،ص 340.

[10] - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 167 .

[11] - عيسى شريط ، الجيفة ، شريط عيسى، الجيفة ، دار المتون للنشر ، الجزائر،ط1 ،2005،ص ،ص 29 . 30 .

[12] - عيسى شريط ، الحواجز المزيفة ، منشورات ارتيستيك القبة ، الجزائر، ط2 ، 2007 ، ص 8 .

[13] - عمرو عيلان، الايدولوجيا وبنية الخطاب الروائي . ص 305 .

[14] - المرجع نفسه ، ص 305 .

[15] - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي، ص 167 .

[16] - آمنة يوسف، تقنيات السرد ، دار الحوار، سورية اللاذقية ، ط1، 1997،ص، 89.

[17] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 168 .

[18] - عيسى شريط، الجيفة، ص، ص 193 ، 196 .

[19] - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 168 .

[20] - أ أ مندولا، الزمن و الرواية، ترجمة، بكر عباس، مراجعة إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان ، ط1، 1997، ص 133 .

[21] - عيسى شريط، الحواجز المزيفة ، ص 141 .

[22] - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص169 .

[23] - المرجع نفسه، ص 169 .

[24] - عيسى شريط ، الجيفة ، ص، ص 97 . 109 .

[25] - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 171 .

[26] - عيسى شريط ، الجيفة ، ص ، ص 97 ، 98 .

[27] - المصدر نفسه ، ص 100 .

[28] - - أ أ مندولا . الزمن و الرواية .ص 133 .

[29] - عمرو عيلان ، الاديولوجيا وبنية الخطاب الروائي ، ص 305 .

[30] - عيسى شريط ، الحواجز المزيفة ، ص 17 .

[31] - المصدر نفسه ، ص 20 .

[32] - المصدر نفسه ، ص .ص 23. 24 .

[33] - عمرو عيلان ، الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي ، ص 305 .

[34] - عيسى شريط ، الحواجز المزيفة ص ،ص 80 . 81.

[35] - عمرو عيلان ، الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي ، ص 306 .

[36] - عيسى شريط ، الجيفة ، ص ، ص 125 . 130 .

[37] - محمد علي الشوابكة، السرد المؤطر ، ص 96.
[38] - عيسى شريط ، الحواجز المزيفة، ص 127.
[39] - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 174 .

[40] - حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 174 .
[41] - آمنة يوسف ، تقنيات السرد ،ص 89 .